الاتجاه الاجتماعي في رواية (عصر واوا) لفؤاد قنديل

Social aspects in the novel (The era of wawa) by: Fouad Qandil

Samiya Kausar
PhD Research Scholar, Arabic Department - NUML
samiyakausar02@gmail.com

ABSTRACT

Mr. Fouad Qandil, An Egyptian author was born on October 05, 1944 in Banha. He held bachelors of Art degree in Philosophy and Psychology from Cairo University.He was awarded with the Qabbani Cup in short story collection category in 1979. His other achievements are winning Nagib Mahfoz Award, Tayyab Salih Prize and state prize of excellence in literature 2004. He held a central position in literary generation of the 1960. Out of many publications, he wrote 22 novels and 15 short story writing.His literary work attracted the masses especially critics and academic circles. His famous novel publications are 'The Ceiling, Wawa times, The roots of temptation, Kiss of life, Loving soul, Let the door open etc. His most famous short stories are Sun honey, the Night talk and Friday market etc. Since Fouad Qandil wrote several novels in diversified fashion so one cannot tag him to any specific school of thought.

His majority work falls in realistic and fancy category with amalgamate of various writing technique to attract the reader. I shall discuss one of those novels in which he highlighted social aspects such as administrative corruption, rape, drug abuse, irony and humor ,spread of chess in the society, infertility and childbirth . He died on June 03, 2015.

Keywords: Fouad Qandil, Novel, Social Aspects, The era of wawa.

فؤاد محمد أحمد قنديل:

من أدباء العربية في مصر في العصر الحديث، وهو كاتب وروائي وقاصّ، ولد في مدينة القاهرة عام 1944م، ألف اثنتين وعشرين رواية، وخمس عشرة مجموعة قصصية، وثلاثة عشر كتاباً في الدراسات الأدبية والثقافية المختلفة، وستة كتب عن أدب الطفل، وتوفي عام 2015م.[1]

ورواية (عصر واوا) لفؤاد قنديل رواية اجتماعية، تصور جريمة الاغتصاب، مع مجموعة أخرى من الموضوعات الاجتماعية، وعدد صفحات الرواية (142 صفحة)، صدرت عام 1993م.

ويتناول هذا البحث ملخصا لهذه الرواية، والاتجاه الاجتماعي لموضوعات الرواية، ويشمل البحث مبحثين والخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول- التعريف برواية (عصر واوا) وملخصها.

المبحث الثاني- الاتجاه الاجتماعي في رواية (عصر واوا).

الخاتمة.

المبحث الأول- التعريف برواية (عصر واوا) وملخصها:

عنوان الرواية (عصر واوا): يتكون من كلمتين، بالتركيب الإضافي، الكلمة الأولى (عصر)، وتأتي في اللغة لمعانٍ عدة، منها: الدهر، وساعة من ساعات النهار، واليوم.[2]

والمراد بالعصر هنا في عنوان الرواية: الزمان والوقت.

والكلمة الثانية (واوا)، وقد وردت في المعاجم على استعمالين، هما:

الأول- وا: حرف نداء للنُّدبة، أي: نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه.[3]

الثاني- (الواوا: صياح العِلَّوض، وهو ابن آوى، إذا جاع).[4]

ومعناها باللهجة العامّية: كلمة تدل في لغة الأطفال على موضع الألم أو على ما قد يسبب الألم.[5]

وهذا الاسم (واوا) اسم الشهرة للشابّ أنور القرش، الجاني الذي اغتصب السيدة سلوى، وهو عضوٌ في عصابة لبيع المخدرات وتهريبها.

ملخص رواية (عصر واوا): تدور أحداث الرواية حول شريف (مدرس لمادة التاريخ في المدرسة) الذي يعيش حياة سعيدة مع زوجته سلوى (موظفة في وزارة الزراعة) في شقة تقع في الدور الرابع من إحدى بنايات مدينة القاهرة، القريبة من قلعة صلاح الدين، والمطلة على مسجد السلطان حسن، ومسجد الرفاعي وجامع محمد علي باشا.

لم يُرزق الزوجان بالأولاد، رغم مرور سبع سنوات على زواجهما، ولكنهما لا زالا يطمعان في رحمة الله، وينتظران الذرية، ويزورهما والدا سلوى (العم فريد السّخن وأم منتصر) من حينٍ لآخر، ويقوم شريف وسلوى بتربية بعض الحيوانات والطيور الأليفة فوق سطح المنزل، مثل: الحمام، والأرانب، والدجاج، والإوزّ والبطّ.

يحب شريف زوجته سلمى، وقد التقط لها آلاف الصور التذكارية في كل مكان زاراه سوياً، وتنقل لنا الرواية جانباً من علاقة الحب التي تربط الزوجين، ففي الذكرى السابعة لزواجهما يزورهما والدا سلوى (العم فريد السّخن وأم منتصر)، ويتناولون الغداء سوياً، ويشوون اللحم المفروم على الفحم فوق سطح العمارة، ويتجهز الزوجان شريف وسلوى لقضاء تلك الليلة وكأنها ليلة الزفاف، ويهدي شريف لزوجته خاتماً، بينما هي تلبسه ثوباً صنعته من ريش الديوك خلال ستة أشهر.

ذات يومٍ التقى شريف أثناء الدوام الدراسي بزميله في المدرسة أستاذ العلوم عبد الرحمن شمعة، الذي تعرض للاعتقال لمدة شهرين من قبل الحكومة مع آخرين؛ بتهمة الانتماء

لتنظيم ديني، والتخطيط لقلب نظام الحكومة، ثم أُطلق سراحه لاحقاً.

تبادل شريف وشمعة وجهات النظر حول الحياة في البلاد ودور الإعلام والحكومة في التشديد على الشعب، وأبدى شمعة رأيه في ضرورة العمل لإقامة حكومة تنفذ الشريعة الإسلامية، ودعا شريفاً للحضور في أحد المساجد الخاصة لأداء صلاتي المغرب والعشاء وحضور الدرس.

رجع شريف إلى البيت، فلم يجد سلوى في البيت، وظن أنها في السطح، فصعد ولكن لم يجد سلوى، فألقى الحب والطعام للحمام والبط، والدجاج والأرانب، وصب لها الماء في الأواني، ونزل إلى شقته، فتلقى اتصالاً من سلوى، تخبره أنها عند أختها صحراء التي يحتمل أن تلد خلال ساعات.

غادرت سلوى بيت أختها صحراء في العاشرة والنصف ليلا، وفي الطريق اختطفها السائق واقتادها إلى مبنى مجهول على طريق عام، وقام باغتصابها، ثم فر بسيارته وترك سلوى التي رمت سيارته بحجر وهشمت زجاجه الخلفي، ثم توقفت لها سيارة على الطريق العام، فركبت إلى بيتها، حيث زوجها شريف الذي انتظرها طويلا، وهو قلق على تأخرها، فتفاجأ بهيئتها وحالتها، وهي تبكي، وأخبرته بالخبر، وبأنها لا تعرف عن الجاني شيئاً.

نزل شريف إلى زميله وجاره في العمارة النقيب في الشرطة سليمان الملط، وأيقظه من النوم، وأخبره بالمصيبة التي حلت به، واستمع لسلوى التي أخبرته بتفاصيل الحادثة، وبأنها عضت المجرم في وجهه، وهشمت الزجاج الخلفي لسيارته من نوع بيجو صالون، وفي الصباح اصطحب سليمان الملط سلوى إلى مركز الشرطة، لتحرير محضر بالواقعة، كما أمر جميع محلات قطع غيار السيارات بالإبلاغ عن أي سيارة بيجو تستبدل الزجاج الخلفي.

بقي شريف وسلوى في الشقة ثلاثة أيام لا يخرجان، ولا يتكلمان، ولا يأتي لزيارة

شريف غير زميليه سليمان الملط ومنير البدري، ويجلبان له البيرة والحشيش؛ ليتسلى عن الحادثة.

في اليوم الرابع حملتْ سلوى حقيبتها، ورحلتْ إلى بيت والديها.

بعد ثلاثة أسابيع زار شمعة صديقه شريف، وأقنعه بضرورة عودة سلوى إلى بيتها، وعودته إلى المدرسة، فذهب شريف وأرجعها إلى البيت، وهي أخذت إجازة لمدة شهر من العمل.

بعد أسبوع من الحادثة قُبض على الجاني الواوا (عضو في عصابة لتهريب المخدرات)، وحوّله مركز الشرطة إلى النيابة، وكشف عليه الطبيب الشرعي، الذي أثبت الحادثة، ولكن محامي الواوا دافع عن موكّله بأنه كان خارج البيت في مدينة السويس منذ يومين قبل تاريخ الحادث مع زملائه الذين شهدوا له، وعندما رجع إلى البيت وجد زجاج سيارته مهشماً، وقد حرر محضراً بذلك.

ثم ألقي القبض على واوا مرة أخرى عندما أراد تهريب سبعة كيلوغرامات من الهيروين من مدينة السويس، لكنه هرب من السجن.

دخلت سلوى في حالة من القلق والضغط النفسي، مع تأخر دورة الطمث شهراً؛ وظنت أنها حملت من الجاني، وناقشت هذه المسألة طويلاً مع أمها، وأخيراً قررت الإجهاض، فرفض الأطباء، ورضي الطبيب الثامن أو التاسع الذي زارته بإجراء عملية الإجهاض، وتلقى شريف وهو في المدرسة اتصالا من المستشفى ليحضر سريعا، فسلوى في حالة سيئة، ولدى وصوله رأى في الغرفة سلوى غائبة عن الوعي، والطبيب يجس نبضها، والممرضة تركب لها كيسا من الدواء وآخر من الدم، وتجري لها التنفس الصناعي، وأمها وأختها صحراء تجلسان في ركن الغرفة، بينما العم فريد والأستاذ مفرح خارج الغرفة، وعندما

خرج الطبيب وبخ شريف على موافقته على الإجهاض بعد شهرين من الحمل، وعندما سمع شريف خبر الحمل وبعده الإجهاض سقط مغشياً عليه، ومع إفاقته رأى أن سلوى قد فارقت الحياة، وعندما فحص الطبيب الجنين المجهَض وجد أنه ابن شريف.

اختُطف شريف من قبل عصابة يديرها لواء في الشرطة، في طريق طويل بالسيارة، ثم مشياً على الأقدام، إلى أن أوصله إلى مكان فيه غرف صغيرة وكبيرة، والتقى هناك بالباشا (لواء الشرطة) الذي طلب منه سحب البلاغ ضد أنور القرش (الواوا)، ولكن رفض شريف، فضربه أفراد العصابة، وسال الدم من وجهه، وصبوا الخمر على وجهه من برميل كان يغتسل فيه الباشا، ثم قاموا بغرق رأسه في البرميل عدة برميل؛ ليجبروه على سحب البلاغ، وهدده الباشا بهتك عرضه، وقتل أقاربه، ولكن شريف ظل رافضاً، فاقتادته العصابة في سيارة نصف نقل، يحرسه رجلان، وهو معصوب العينين مقيد اليدين، وانطلق بهم سائق السيارة إلى فيلا في آخر جبل المقطم، وهناك ألقاه حارسان في حفرة، وقيدا قدميه بسلسلة حديدة لها قفل، ثم ألقيا عليه القمامة، وصبا على رأسه دلوا من البول، وتركاه لأسراب الذباب تقع عليه، والفئران تلحسه وتمر على صدره ووجهه، والحارسان يرميان عليه يومياً النفايات والقاذورات، ويصبان عليه دلو البول، وحاول الباشا أن يجبره على سحب البلاغ، بالضرب والتهديد وإلقاء القاذورات عليه، لكن هذه الطرق لم تفلح.

هدّد الباشا شريفاً إن لم يسحب البلاغ فسيدفنه حياً، وسيقتل أفراد أسرته، وسينتهك عرضه ستة وعشرون رجلاً من رجال الباشا مساء الغد، وسيصور هذا الفيلم على مرأى من الجميع.

بقي شريف لدى عصابة الباشا مقيداً مرمياً في الحفرة ثلاثة أيام، وهرب في اليوم الرابع مع غفلة الحراس، وغضب الباشا، وحبس الحارسين مكان شريف، وأمر رجاله بالبحث عنه

وإحضاره، بينما شريف جرى هارباً في صحراء صخرية، إلى أن وصل المستشفى.

دخل شريف في غيبوبةٍ، وضعف نبضه، لكن الطبيب يتوقع أنه سيفيق من غيبوبته، وستتحسن صحته مع العلاج، واتباع نظام غذائي مكثف، وتجمع الأهل والأصدقاء حول سرير شريف.

يحرس غرفة شريف عسكريٌ مسلحٌ من الشرطة، ولديه تعليمات بأن عصابة تسعى لقتل شريف، ولذا عليه أن يبقى متيقظاً، لا يسمح لأحدٍ بدخول الغرفة، إلا بأمر من النيابة، حتى أصدقاء شريف يسعون لأخذ الإذن من الطبيب المناوب ومن النقيب سليمان الملط؛ ليسمحا لهم بالدخول للاطمئنان على شريف.

مع منتصف الليل؛ فتح شريف عينيه، وأفاق من إغمائه، ليفرح به أهله وأصدقاؤه وبعض تلاميذه الذين يحدق فيهم شريف ولكن لا طاقة له على الكلام، فهو شاحب الجسم، غائر العينين، ذابل الملامح، غائب الروح، محطم الأعصاب.

جاءت الممرضة والطبيب لفحص المريض، ثم خرج الجميع، وجاء وكيل النيابة للمرة الثالثة ليحقق مع شريف، ويأخذ أقواله بشأن الحادثة، ولكن لم يتعاون شريف معه، واعتذر بعدم قدرته على الكلام، أشار الطبيب على وكيل النيابة أن يأتي غدا؛ حتى يستعيد شريف صحته، ويصبح قادراً على الكلام.

عاد شريف إلى شقته بعد أسبوع من الغياب عنها، وقد مضى نحو شهرين ونصف على الحادثة المأوساوية، وتركت له أخته أليفة بعض الطعام في المطبخ، ورجعت لتتولى شؤون بيتها ومحل عطارة زوجها.

صعد شريف إلى سطح المنزل ليرى أن جميع الحيوانات والطيور الأليفة –التي كان يربيها هو وزوجته سلمى– قد ماتت في أقفاصها من الجوع والعطش: الأرانب والأوزّ والبطّ

والدجاج، ولم يبق إلا سرب الحمام الذي اقترب من شريف، ليرفرف فوقه بأجنحته.

في عصر اليوم التالي أراد البحث عن صديقه عبد الرحمن شمعة؛ ليخطط معه للانتقام، لكن أخبره أحد الأصدقاء المقربين بأن شمعة قد أُلقي القبض عليه مرةً أخرى فجر اليوم.

ويختتم الروائي روايته عصر واوا بالفصل السابع عشر: (ولم يكن شريف حتى هذه اللحظة يعرف أن واوا هرب من السجن، وبدأ يعمل لحسابه الخاص، لم يعجز عن اكتشاف الوسيلة التي تمنحه حق الوجود القوي ضد الباشا والسجن والسجان، كان كل شيء يتهيأ لحياة جديدة).[6]

المبحث الثاني– الاتجاه الاجتماعي في رواية (عصر واوا): اشتملت فصول الرواية على عدة موضوعات اجتماعية، سأذكرها فيما يلي مع بعض الشواهد والاقتباسات من الرواية:

1–الاغتصاب: الموضوع الأبرز في هذه الرواية حادة الاغتصاب التي تعرضت لها سلوى على يد الواوا أنور القرش، ويصور قنديل فظاعة هذه الحادثة في عدة فقرات، وكيف دافعت سلوى عن نفسها:

> (انقضّ عليها، كتم فمها بيده، وحملها إلى المبنى المظلم، وألقاها على الأرض... أخذت تضربه وتدفعه بيديها وقدميها، ثم صرخت... مضت تخمشه بأظافرها، وتعضه بأسنانها... دفعته بركبتيها في بطنه.. أمسكته من أذنيه بشدة، وجذبته من رأسه، أكلت وجهه أكلاً... نهشت لحمه... جرّبت معه كل أشكال الدفاع والهجوم، وبصقت في وجهه، ودسّت التراب داخل عينيه عدة مرات، عبّأت به فمه، رفسته، وهو فوقها جبل لا تهتزّ منه شعرة، ولا تتراجع خطته بخطوة).[7]

بعد حادثة اغتصاب الجاني الواوا لسلوى، تركها وهرب بسيارته، فمشت إلى الشارع، وسقطت منهارةً تبكي، بكاء لم تبكه من قبل، ولن تبكيه مستقبلاً لأي سبب كان، وفكرت في الانتحار، وهي تدعو:

(الموت يا إلهي ليس إلا بإذنك، فادفعني إليه وخلصني، وسامحني، وارحمهم من بعدي، سأتمدد على هذا الطريق، لن يكون مطلوباً أكثر من هذا، ساعدني يا رب وأصدر أمرك للموت، كي يمر على بقايا جسدي).[8]

رجعت سلوى إلى بيتها ووجها مليء بالدم والوحل، وفستانها الأخضر قد انشق من الصدر إلى أسفله، وتدلى قماش الكتف على صدرها، وتعرّى اللحم، وهي منكوشة الشعر، امتلأ جسدها بالكدمات، وهي لا تعرف شكل الجاني، ولا اسمه، ولا بيته، ولا رقم سيارته.

وجد شريف نفسه أمام خصم مجهول، وحتى لو كان معلوماً، فماذا يستطيع أن يفعل؟! حتى لو وجدوا الجاني وأشعلوا فيه النار، فمن سيعيد له شرفه الذي ضاع؟! لقد أُكره على الدخول في معركة ليس خصماً فيها.

(دارت الدنيا بالفتى الوحيد، إذ تذكّر مقوّض أحلامه، مصدر تعاسته الأوحد، كان يتمنى أن يموت هذا المجرم كياً بالنار، على أن تعود الحياة إليه بعد أيام، ثم يدخل في مؤخرته خازوق، لا يخرج إلا من رأسه، ليموت أياماً، وبعدها تعود إليه الحياة من جديد، ليموت تمزيقاً بقطع من الزجاج، ويحيا ثم يموت صعقاً بالكهرباء، ويحيا ليلقى في زفت مغلي، وإذا مات يحكم عليه بالإعدام شنقاً، وإذا لم يمت ينقل إلى برميل زفت مغلي آخر، وهكذا).[9]

(منطقة شبه خالية، ووقت متأخر، وحيوان عربيد، وهل كان يمكن أن يستشهد شرفها المثلوم هذا الاستشهاد الفظيع إلا في ركن منزوٍ، وتحت أظافر كلب

وحشي، رباه البعض في حظيرة خنازير، على بابها ضوء رسمي أخضر).[10]

2–الفساد الإداري: مشاهد كثيرة من الرواية تبرز الفساد المنتشر في إدارات الدولة المختلفة، وهنا بعض الأمثلة:

الباشا لواء شرطة سابق، ولديه عصابة تخطف الناس مقابل المال، ولديه أماكن اعتقال سرية، لإجبار الناس على ما يريد، كما يتاجر في المخدرات مع العصابة التي ينتمي إليها أنور القرش الواوا، ويحسب نفسه هو القانون والحكومة.

والباشا تنازل عن جنينة التين في العجمي لمساعد الوزير؛ من أجل الإفراج عن الواوا، فطلب مساعد الوزير من الوزير الإفراج عن الواوا، لكن الوزير رفض؛ نظراً لحساسية الوضع السياسي، وهنا اتفق مساعد الوزير مع رأس كبيرة على تهريب الواوا، مقابل انسحاب مساعد الوزير من مناقصة للسفن الخردة.

ويصور الروائي هذه الحال بقوله:

(كان في زمنٍ ما عدد من الأنذال مسؤلين عن سجن المعارضين، وتعذيبهم لحساب الحكومة أو لحساب أنفسهم، أما الآن فقد أصبح كل صاحب مال وصاحب سلطان وكل قادر على دفع أجرة المقاول يستطيع أن يغتال من يشاء، ويعذب من يشاء، ويدفن من يشاء، ويغتصب من يشاء، والناس كلها قادرة على أن تفعل ببعضها ما تشاء).[11]

وعندما عجز الباشا عن إخراج الواوا من السجن، اتصل بكل المستويات، ودفع أكثر من مليون، وتنازل عن أرض وعن نساء غير ما وعد به..[12]

وفي مثال آخر للفساد الإداري يتذكر شريف (والده الذي حجز التليفون منذ عشرين سنة، ولم يركّب إلا بعد وفاته بيوم).[13]

3– العلاقات الأسرية: تتجلى في الروايات العلاقات الأسرية بين شخوص الرواية على النحو التالي:

أ– علاقة شريف بوالديه: شريف يحب والديه، اللذين رحلا عن الدنيا، وهو يحتفظ بصورة كبيرة له معهما في شرفة شقته، ويتمنى لو عاد عهد أولئك الآباء الذين ولدوا في الربع الأول من القرن العشرين. وكان والده يوصيه بأداء الصلاة كي ينجح، كما يتذكر شريف والديه الذين رحلا بعد خمس سنوات من زواج شريف وسلوى، ويعتزم أن يزور قبريهما، ويقرأ الفاتحة.[14]

ب– علاقة شريف والعم فريد السخن والد سلوى: العم فريد يحب شريف، ويكثر من زيارته، وينبسط معه في الحديث بالمزاح والنكات، وهو يزوره من حين لآخر، زاره في عيد زواج شريف وسلوى، وكان معه في المستشفى، حينما أجهضت سلوى جنينها، وعندما هرب شريف من العصابة وكان في المستشفى.

ت– علاقة شريف بأخته أليفة: يبدو شريف محباً لأخته، وهي له كذلك، فشريف يزورها، ليطمئن عليها، وهي زارته في المستشفى، وبكت لما أفاق من غيبوبته، وحمدت الله أنها رأته بخير، وتبين منزلته عندها قائلةً: (هذا أبي يا أستاذ منير، وليس أخي)[15] ورافقته إلى الشقة، وأعدت له الطعام في المطبخ، و(ألحت عليه أخته كي تبقى معه، لكنه أبى)[16] ثم غادرت إلى بيتها وعملها، وأوصت شريف قائلة: (أرجوك أن تهتم بصحتك، لن ينفعك في الدنيا غيرها)[17] وكانت هذه الزيارة بعد عام لم تزره فيه، أما شريف فقد زارها قبل شهر، ثم زارها بعد ثلاثة أسابيع من حادثة اغتصاب سلوى.

ث– علاقة شريف بعديله مفرح القفاص: مفرح يحب عديله شريف، وقد عزم إن جاءه مولود هذه المرة فسيسمّيه شريفاً، وإن كانت بنتاً فسيكون اسمها سلوى، ومفرح

يقف إلى جانب شريف وسلوى في المستشفى عندما تجري سلوى عملية الإجهاض، ثم تموت.

4- علاقة شريف بزوج أخته الحاج نجيب فرح: يبدو أن الحاج نجيب مشغول جداً في تجارته وأعماله إلى درجة أنه بعيد تماماً عن شريف وما جرى له من حادثة اغتصاب سلمى، وموتها بعد الإجهاض، ثم اختطاف شريف

5- علاقة الصداقة وحسن الجوار: تتضح هذه العلاقة من خلال عدة مظاهر، مثل: علاقة شريف أستاذ العلوم، والصحفي منير البدري، ونقيب الشرطة سليمان الملط، الذين يسكنون في شقق بعمارة واحدة، وتربطهم علاقة قوية، تجاوزت علاقة الجيران لتكون علاقة أصدقاء، فهما مع شريف في المستشفى عندما هرب من العصابة، وكتب منير البدري الكثير من المقالات عن هذه الحادثة، وتساهل القضاء والنيابة والوكلاء والمحامين في تحقيق العدالة، كما وقف النقيب سليمان الملط بشهامة مع شريف، ليحرر محضر الحادثة، ثم جمع الأدلة من مسرح الحادث، واستمع لأقوال سلوى، وتوجه إلى محلات قطع غيار السيارت ليأمرهم بإخباره عن أي سيارة بيجو صالون تغير زجاجها الخلفي، وطلب من زملائه الضباط والجنود في كل الأقساماستلام أي بلاغ يأتي بهذه الصفة فوراً.

وقُبض بعد فترة على الجاني الواوا، وسلمه للنيابة، وعندما هرب شريف من قبضة العصابة ورقد مريضاً مغمى في المستشفى أوكل سليمان الملط حراسته لجندي يحرس غرفته.

وكذا ترتبط علاقة الصداقة الوثيقة بين شريف وعبد الرحمن شمعة وهما مدرسان في مدرسة واحدة، وكان شمعة مع شريف في المستشفى، وشمعة صاحب انتماء ديني، محافظ على الصلوات وحضور الدروس الدينية، بينما علاقة شريف بالصلاة مضطربة، ففي الماضي كان يصلي في أيام الامتحانات، فإذا انتهت الامتحانات هجر الصلاة، وكذا انتبه لصلاته

بعد اضطراب ظروف حياته بعد الزواج، وهو يتمنى لو كانت الصلاة صباحا ومساءً فقط، ويدعو الله أن يوفقه لأدائها بانتظام، وبالفعل انتظم في أدائها مع الجماعة أياماً وأسابيع، ثم أهملها وأصبح يصلي في البيت، ثم صار يصلي الظهر والعصر معا، ثم صار يصلي الجمعة فقط، ثم ترك صلاة الجمعة أيضاً، ولهذا كان شمعة حريصاً على أن يأخذ بيد زميله شريف نحو المسجد، وكذا أراد شمعة أن يوقظ في نفس شريف الثورة ضد الفساد الإداري المنتشر في البلاد.

وأيضاً العم فريد السخن مشهور بإعداد السلطة الخضراء الشهية، وفي رمضان يأتي إليه أولاد الجيران، ويعطي كل أسرة طبقاً من السلطة.

6-انتشار لعبة الشطرنج في المجتمع: يحب شريف لعبة الشطرنج، ويلعبها مع صديقه وجاره منير البدري، طول الليل، حتى ربما يترك صلاة الجمعة بسبب الشطرنج.

كما يتذمر ويشكو إلى الله لماذا منحه زوجة لا تلعب الشطرنج؟!

(ولكنهما لا يلعبان الشطرنج معاً، ويتوجه شريف بالشكوى لله: لماذا يا رب من دون كل نساء الأرض زوجتني هذه السيدة التي لا تلعب الشطرنج؟!).[18]

وقد علق على جدار ردهة شقته صورةً لجمال عبد الناصر وهو يلعب الشطرنج، ويفتقد شريف هذه الصورة بعد رجوعه إلى البيت من المستشفى، ويبحث عنها في كل مكانٍ من شقته، إلى أن يجدها تحت سريره، فيرفعها ويعلقها على جدار الردهة، ويتمنى لو كان بوسعه أن يلعب مع جمال عبد الناصر دور شطرنجٍ.

كما ينبهه زميله الأستاذ عبد الرحمن شمعة أن لا يشغله الشطرنج عن الصلاة، بينما شريف يدعو شمعة للعب الشطرنج معه، وسيعلمه شريف كيف يلعب؟! لكن شمعة يعتبر الشطرنج لعبة الفارغين، وشريف يعتقد بأنها تنشط الذهن.

وعند تترك سلوى بيتها في اليوم الرابع بعد حادثة الاغتصاب؛ يحاول منير أن يشغل جاره وصديقة شريف بالشطرنج بعض الوقت؛ لتخليصه من الهم والكآبة.

7- تعاطي المخدرات: رغم أن شريف أستاذ في المدرسة وقدوة لتلاميذه، ومنير البدري صحفي صاحب مسؤولية، وصاحب قلم يدافع عن قضايا الشعب، وسليمان الملط نقيب في الشرطة يحارب الجريمة؛ إلا أن هذا كله يغيب إذا اجتمع الثلاثة، فمنير يحضر البيرة، وشريف يطلب من سليمان الملط الحشيش، فيحضره له.

(وفي كل مرة كان منير يحضر معه زجاجة بيرة... ورغم فرح شريف بالبيرة والهزة التي استشعرها في كيانه قال للملط: هل عندك حشيش؟...

صرخ الملط قائلاً: طوبى للذين يشجّعون الفساد، ستكون الباطنية كلها بين يديك بعد لحظات، هلل منير. إذن سنعيش ليلة من ليالي العمر...

هل يمكن للحشيش أن يزيح عن صدره شيئاً مما يحمل؟

ولعل عبارة قالها الملط منذ سنة ما زالت عالقةً في لا وعيه: أكبر رجال البلد ومن يسيرون أمورها يتعاطونه، والحشيش بصرف النظر عن سعره وسريته هو الذي ينال الدعم الحقيقي... أخذ منير يتشممها كالكلب.

انشغل شريف بتأمل منير وهو يفرغ عدة سجائر، ويعيد حشوها، ويتحدث إليها وإلى شريف في آنٍ واحد: على يديك ستعود أيام المجد والكتابة).[19]

8- السخرية والفكاهة: رغم أن الرواية تدور أحداثها على واقعة الاغتصاب المأساوية، وإجهاض سلوى لجنينها، وموتها مباشرة بعد الإجهاض، ثم اختطاف شريف وتعذيبه من قبل العصابة، إلا أن فؤاد قنديل أضفى على هذه الرواية جواً من المزاح والنكتة والسخرية المبطنة في كثير من المواقف، منها على سبيل المثال:

عندما تزور أليفة أخاها شريفاً في المستشفى، وعندما يفيق من إغمائه ويتعرف على أخته قائلاً: (أختي أليفة... ثم انفرطت في البكاء... وسرعان ما انتقلت العدوى إلى ثلاثة من الشباب، فانهاروا فوق بعض، وعلا نحيبهم، أعطى هذا فرصة لأليفة كي تعود للنشيج العاصف، حريصة على الاحتفاظ بمكانتها، بوصفها أول من افتتح البكاء... تمالكت نفسها رائدة البكاء).[20]

وكذا يصف قنديل شارب النقيب سليمان الملط قائلاً: (شاربه الكثّ تضخّم، وأصبح شجرة هائلةً تغطي نصف وجهه، وتمتد فروعها خارجه).[21]

وتعاتب سلوى زوجها شريفاً، كيف نسي –وهو مدرس مادة التاريخ– أهم يوم في حياتهما وهو عيد زواجها؟! (كان مفروضاً بصفتك مدرس تاريخٍ ألّا تنسى أهمّ يوم. ضحك وهو يكمل ما لم تقله: في حياة البشرية).[22]

وكذا يسخر الروائي قنديل من مقدمة برنامج الأطفال في التلفزيون: (الستّ السمينة التي تجلس في التلفزيون، وتقرأ أسماء الأولاد الحلوين).[23]

ويسخر الروائي من ضخامة جسد العم فريد: (جلس عم فريد ففزع الكرسي، حين هبط فيه الجسد الضخم وضاقت عليه الدنيا، حاول أن يضع ساقاً على ساقٍ لم يفلح، قال: لا أستطيع أن أكون عظيما في بيتكم).[24]

أما ضحكة العم فريد فيصفها الروائي قائلاً: (ضحك عم فريد ضحكته البقريّة التي تغترف من كرشه الضّخم).[25]

وعند دخول العم فريد إلى شقة شريف يوم عيد زواجه السابع تلقته ابنته سلوى، وهو مستعجل للحاق بصلاة الجمعة، فـ (أجابه شريف على عجل: أنت.. داخل سُخْن يا عم فريد)[26] والأصل أن السّخن لقب عائليّ له.

وتتنوع نكات العم فريد وقصصه الساخرة والهازلة، ولا يترك أحداً أو جماعةً من الناس بدون أن يسخر منهم بنكتة، فالـ (عم فريد طوب الأرض يحبّه؛ لأنه لا يكفّ عن قول النكتة واختراعها في ثوانٍ، وكلّ شيءٍ وكلّ إنسانٍ مهما علا شأنه يمكن أن يوحي له بنكتةٍ، وهو يقول النّكت على الأطبّاء، والوزراء، والشعراء، والفلّاحين، والصّعايدة، والطّلبة، والصّيادين، والممثّلين، والحموات، والرّاقصات، والطّير، والحموات، وعلى الملوك والرؤساء أيضاً).[27]

وتتصل العلاقة بين العم فريد وصديق شريف الصحفي منير البدري، الذي يرى في العم فريد مادةً مناسبة لكتابة مقال عنه، إذ (كتب منير البدري في إحدى المرات عاموداً عن عمّ فريد، دعا فيه وزارة الثقافة لتخصيص مادةٍ عنه في المعهد العالي للدراسات الشعبية، بوصفه مثلاً بارزاً من الفلكلور الحديث، ودعا أيضاً إلى تعيين موظفٍ يلازمه ويسجّل كل ما يقوله، واعتبر عدم الاستجابة لاقتراحه تبديداً لثروةٍ أصيلةٍ من ثروات الوطن).[28]

ويصور الروائي حالة شريف مع الوضوء والصلاة: (يصلّي دون إيمان كافٍ أو تركيزٍ، وأحياناً دون وضوءٍ وهو يحسب أنه على طهارته في حين يكون قد أخرج من الرّيح ما يكفي لدفع زورقٍ شراعيٍّ).[29]

وعندما يتأخر شريف في طابور العيش، يطلق العم فريد نكتة ساخرة قائلاً: (ربما قبضوا على مدرسي التاريخ... ربما وقف في طابور وبعد أن جاء دوره اكتشف أنه ليس طابور العيش).[30]

وعندما يرجع شريف وقد ضربه الناس وأدموه وشقوا قميصه، يضحك العم فريد، ويقول: (قدر ولطف، أنا أحسن من غيري... كل سنة وأنت طيب، الناس لابد تعرف أن اليوم عيد زواجكما... لماذا لا تشتري لك الملابس الخاصة بالطوابير؟ الخوذة والجاكيت

الحديد).[31]

وفي يوم عيد زواج شريف وسلوى، يستضيفان العم فريد وأم منتصر على الغداء، وبدلا من الطبخ في الشقة يعتزم شريف وسلوى أن يشويا اللحم المفروم فوق السطح، ويحاول شريف أن يشعل النار في الفحم الذي تسرب إليه الماء، فيهفّ عليه بمروحة بيده اليمنى، واليد اليسرى مرفوعة؛ لأنه تعرض للضرب في طابور العيش، وبصعوبة بالغة أشعل شريف النار في الفحم، بعد أن غرق في العرق، فكانت هذه فرصة ذهبية للعم فريد للسخرية والنكتة (عمه فريد ملك الضحك موجود، ولديه الاستعداد لعمل مسلسل كامل من الضحك حول مهزلة اللحم المشوي على فحم لا يشتعل، وما هي غير لحظات حتى تنبه عم فريد لمعاناته... تولاه ببديهته الحاضرة ونكاته اللاذعة... إنه بسبب هذه النكت يشعر إنه حصان حر طليق، يجري في مضمار بلا نهاية، والجميع يصفقون له)[32] وتشارك مكاوية أم منتصر أيضاً في هذا الحوار: (من كثرة هذا الضحك يا حبة عيني إذا وصل السرير ينام كما ينام الكلب بعد الفجر، كأنه قتيل بعيد عنكم... تصوروا أنه يقوم بالليل ويجلس ويقول نكتة ويضحك، ولا يعود للنوم إلا بعد أن أجرّه وأعيده إلى الفراش).[33]

وبعد أن نجح شريف في إشعال النار في الفحم المبلل بالماء (وبعد أن شبع فريد ضحكا وإضحاكاً سقط شريف على الأرض، ونظر إليهم مبتسماً... دنا عم فريد من شريف، وأخرج منديله وبسطه في الهواء، وأخذ يهوّي على وجه زوج ابنته المنهار، كما يفعل مساعد المدرب مع الملاكم المتهاوي، ثم نادى مكاوية، وقال لها: تعالي أنت هوّي، وأنا سأعدّ عليه من واحد إلى عشرة، إذا لم يقم سألقيه خارج الحلبة، ويكون في علمكم، السطح كله حلبة)[34] وهنا ضحك الجميع، فقال لشريف: (لو هوّيتُ عليك بالمنديل يا شريف؛ ستشتعل، قال شريف في سرّه: يخرب بيتك، أنت عبارة عن آلة ضحك لا

تتوقف).[35]

حتى بعد حادثة اغتصاب سلوى جاء لزيارتها أبوها العم فريد وأبوها أم منتصر، ومع دخولهما الشقة استقبلت سلوى أمها بالدموع، فقال العم فريد: ندخل أولاً، وبعدها افتحوا الحنفيات.[36]

9-العقم والإنجاب: بعد شهر من زواج شريف وسلوى كانوا ينتظرون الولد، ودعت أم منتصر ابنتها سلوى لأن تحمل، وقالت لها أختها صحراء إن أنجبت ابنة فستحجزها لابنها شمس، وشريف يقولون:خذوا ما تشاؤون من أولادي.[37]

لكن شريف وسلوى لم ينجبا أولاداً رغم مرور سبع سنوات على زواجهما، وأمنية شريف أن يرزق بولد ولكن (مع ذلك مرت الأيام دون أن تحمل له صباحاتها المصرة على الطلوع الخبر الذي ينتظره... ولي العهد)[38] (هذا هو العام السابع منذ تزوج شريف، ولم يأذن الله لهما بالولد، وهو يعرف أنها حالة غير شاذة، ولكن بالنسبة له الوضع غير مريح، وضعٌ يفتقر المصدر الرئيس للسعادة والفرح).[39]

كما تتمنى أم منتصر أن ترزق ابنتها سلوى بأطفال، فَ (السطح كبير، ويكفي جداً ليهنأ به عددٌ كبيرٌ من الأطفال، لكن يبدو أن الأوان لم يحنْ بعد).[40]

ويبدو أن القدر يخفي سراً وراء عدم إنجاب شريف وسلوى للأولاد: (بعد البحوث الطبية العديدة ثبت أن العيب منه.. وأنها منذ طفولتها تعاني من ضيق في الشريان التاجي، وهذا يعني حسب نصائح الأطباء أن الحمل قد يسبب الوفاة).[41]

جرّب شريف كل شيء، وأيقن في النهاية أنها إرادة الله وإصراره، والدنيا مرسومة بحذق بالغ (وحتى لو لم أكن عقيماً لما أردتها أن تنجب؛ لأن هذا معناه أن أفقد هذه الإنسانة الغالية).[42]

10- الاحتجاج ضد الظلم والاضطهاد في المجتمع: تبرز في الرواية شخصية عبد الرحمن شمعة مدرس العلوم في المدرسة مع شريف، وهو صاحب انتماء ديني، يحضر الصلوات والدروس مع أشخاص يلبسون ثياباً بيضاء، وبلحى طويلة، أحياناً في مسجد خاص، وأحيانا في فيلا جميلة تقع في آخر أحد الشوارع (أفكاره كلها ثائرة وجادة، ومدعمة بأحاديث نبوية، وآيات قرآنية... لقد عبث الساسة بالتكوين الأصيل للإنسان المصري، شوهوا معدنه... والمشكلة الأنكى أن أجهزة الإعلام وخاصة الصحافة تروج لكل أقوال الساسة وأفعالهم، وتبتكر من التحليلات العبقرية ما يبرر للناس صواب كل ما يدعو إليه الساسة).[43]

يحاول شمعة أن يؤثر بأفكاره في نفس شريف، فشريف شخص نبيل رائع المشاعر، لا ينقصه إلا الدين، و(هو في نظر شمعة أرض خصبة لنبت جديد، ولكنه حتى الآن لم يحقق معه إلا تقدما محدوداً).[44]

الخاتمة: عالجت الرواية موضوعات اجتماعية مهمة وحساسة في المجتمع، وأراد الروائي تصوير حالة المجتمع ونظرته وتعامله مع هذه الموضوعات، وقدم الروائي طريقة تفكير شخوص الرواية للوصول إلى حلول لهذه المشكلات والموضوعات في المجتمع، ومنها: الاغتصاب، والفساد الإداري، والظلم والاضطهاد، والمخدرات، ومسألة العقم والإنجاب.

المراجع والمصادر

(1)- معجم الأدباء العرب في الرواية والشعر والأدب، عبد الحميد دشّو (413-414)، ط 2018م، قاموس الأدب العربي الحديث، د. حمدي السكّوت، (577-578)، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2015م.

Mʿğm āl-udbāʾ Ālʿrb Fy Ālrewāya Wālšʿr Wāladab, by:ʿbdu ālḥamyd dašw (P: 413-414).

Qāmūs Al-ʾadab Al-ʿrabī Al-Ḥadīṯ, By: Dr. Ḥamdī Al-Skkwūt (P: 577-578).

(2)- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي (575/4) دار صادر – بيروت لبنان، ط3/ 1414هـ.

Lesān Al-ʿrab Ibn Manẓūr Al-Ifrīqī (4: 575).

([3])- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر وزملاؤه (2391/3)، دار عالم الكتب، ط1/ 1429هـ – 2008م.

Muʿğam Al-Luġẗ Al-ʿrabīẗ Al-Muʿāṣeraẗ, By: Dr. Aḥmad Muẖtār ʿbd Al-Ḥamīd ʿmar (13: 2391).

([4])- لسان العرب (55/14).

Lesān Al-ʿrab (14: 55).

([5])- معجم الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية، د. أنيس فريحة (191/2)، مطبعة المرسلين اللبنانيين – لبنان، 1919م.

Muʿğam Al-ʾalfāẓ Al-ʿāmmīẗ Fī Al-Lhğaẗ Al-Lebnānīẗ, By: Dr. Anīs Frīḥaẗ (2: 191).

([6])- عصر واوا، فؤاد قنديل (141)، الدار العربية للعلوم، 2008م.

Aʿṣr Wāwā, By: Fuʾād Qandīl (P: 141).

([7])- نفس المرجع (62).

Ibid (P: 62).

([8])- نفس المرجع (65).

Ibid (P: 65).

([9])- نفس المرجع (79).

Ibid (P: 79).

([10])- نفس المرجع (96-97).

Ibid (P: 96-97).

([11])- نفس المرجع (132).

Ibid (P: 132).

([12])- نفس المرجع (135).

Ibid (P: 135).

([13])- نفس المرجع (20).

Ibid (P: 20).

([14])- نفس المرجع (20، 24).

Ibid (P: 20-24).

([15])- نفس المرجع (4).

Ibid (P: 4).

([16])- نفس المرجع (10).

Ibid (P: 10).

([17])- نفس المرجع والصفحة.

Ibid.

([18])- نفس المرجع (23).

Ibid (P: 23).

([19])- نفس المرجع (90-92).

Ibid (P: 90-92).

([20])- نفس المرجع (4-5).

Ibid (P: 4-5).

([21])- نفس المرجع والصفحة.

Ibid.

([22])- نفس المرجع (18).

Ibid (P: 18).

([23])- نفس المرجع (20).

Ibid (P: 20).

([24])- نفس المرجع (24).

Ibid (P: 24).

([25])- نفس المرجع (27).

Ibid (P: 27).

([26])- نفس المرجع (24).

Ibid (P: 24).

([27])- نفس المرجع (28).

Ibid (P: 28).

([28])- نفس المرجع (28-29).

Ibid (P: 28-29).

([29])- نفس المرجع (26).

Ibid (P: 26).

([30])- نفس المرجع (30).

Ibid (P: 30).

([31])- نفس المرجع (31-32).

Ibid (P: 31-32).

([32])- نفس المرجع (35-36).

Ibid (P: 35-36).

([33])- نفس المرجع (36).

Ibid (P: 36).

([34])- نفس المرجع (37).

Ibid (P: 37).

([35])- نفس المرجع والصفحة.

Ibid.

([36])- نفس المرجع (96-97).

Ibid (P: 96-97).

([37])- نفس المرجع (106).

Ibid (P: 106).

([38])- نفس المرجع (26).

Ibid (P: 26).

([39])- نفس المرجع (40).

Ibid (P: 40).

([40])- نفس المرجع (35).

Ibid (P: 35).

([41])- نفس المرجع (41).

Ibid (P: 41).

([42])- نفس المرجع والصفحة.

Ibid.

([43])- نفس المرجع (53).

Ibid (P: 53).

([44])- نفس المرجع (55).

Ibid (P: 55).